رسالة الكويت

رسالة دورية تصدر عن مركز البحوث والدراسات الكويتية

السنة الرابعة عشرة – العدد [٥٤] جمادى الآخرة ١٤٣٧هـ/ أبريل ٢٠١٦م

مركز البحوث والدراسات الكويتية

في هذا العدد

- افتتاحية العدد
- أصداء لقاء الشيخ مبارك الصباح واللورد كيرزون في الصحافة الإنجليزية عام ١٩٠٣م.
- لآلئ يوسف أحمد النصف – صفحات من تاريخ اللؤلؤ في الكويت.
- العلامات المائية في الوثائق الكويتية
- الكويت في وثائق العمري.
- من مكتبة المركز.
- إصدارات المركز الجديدة.

الافتتاحية

عزيزي القارئ:

في كل عدد جديد من «رسالة الكويت» نسعد بتقديم مادة تاريخية تعتمد على مصادر متنوعة لم تكن في متناول الباحثين من قبل، وتلك المادة تمثل إضافات مهمة لتاريخ الكويت العام بجوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتعد مصدرا أوليا يستفاد منه ويبنى عليه، ويفسر ما غمض من مجريات الأحداث.

وفي هذا العدد نقدم بحثا يستحق معده الشكر والتقدير؛ فهو باحث جاد يحترم قلمه ويوجهه إلى كل جديد، والمطلع على كتاباته الأخرى يدرك أن هذا القول ليس مجاملة بل هو حقيقة واقعة، وهذا الباحث يتابع بشغف ما نشر في المجلات الأجنبية القديمة من موضوعات تتعلق بالكويت؛ يبحث عنها في الأرشيفات العالمية، ويشتري ما يعرض منها في الإنترنت بسخاء، ويقدم المعلومات التي يحصل عليها بطيب خاطر لكل من يطلبها.

إن ما قدمه الأستاذ خالد العبدالمغني في هذا العدد عن لقاء الشيخ مبارك الصباح واللورد كيرزون عند زيارة الأخير للكويت في نوفمبر ١٩٠٣م هو أمر مختلف عما كتب من قبل، وقد مكنته متابعته للصحف والمجلات التي نشرت عن ذلك اللقاء من تقديم وصف يعد الأكثر وضوحا، ويبرز في الوقت نفسه المكانة السياسية التي احتلتها الكويت في عهد الشيخ مبارك، وهو الأمر الذي جعل مجلة «جرافيك» (The Graphic) تضع صورته في بورتريه ضمن مجموعة من الشخصيات العالمية الكبيرة، وهذه الصورة التي عثر عليها الأستاذ خالد تنشر لأول مرة في الكويت.

آملين من الله أن يتواصل عطاء هذا الباحث، وأن يكون قدوة لغيره من شباب الوطن.

والله ولي التوفيق

أ. د. عبدالله يوسف الغنيم

رئيس مركز البحوث والدراسات الكويتية

مركز البحوث والدراسات الكويتية

ص .ب : ١٠٢٤ دسمان – رمز بريدي : ١٥٤٦١ الكويت – ت : ٢٢٢١٠٨٩٨ (٠٠٩٦٥) – فاكس : ٢٢٢١٠٨٨٠ (٠٠٩٦٥)

E-mail: crsk@crsk.edu.kw - homepage: http://www.crsk.edu.kw

العلامات المائية في الوثائق الكويتية

إعداد: شيخة خليل سعيدان

العلامات المائية والورق

العلامة المائية هي علامة تعريف تضغط في الورق عند صناعته بواسطة آلة صنع الورق، وقد تكون تلك العلامة رسما معينا أو حروفا أو أرقاما يمكن رؤيتها عند عرض الورقة أمام الضوء، وتعدّ العلامة المائية أحد الأسس التي تمدنا بمعلومات قيمة عن العصر الذي أُنتج فيه الورق المستخدم في الوثائق.

ولم تظهر العلامات المائية على المواد الأولية التي استخدمت في الكتابة والتدوين؛ من مثل الحرير أو البردي أو المهارق أو الرقوق[1] أوغيرها مما كان يستخدم للتدوين والكتابة، فالتتبع التاريخي لمواد الكتابة وصناعة الورق يبين أن ظهورها كان بعد قرون عدة من بدء استخدام الورق في الكتابة.

ففي عام ١٠٥ م بعد أن اكتشف (تساي لون) الورق أو أعاد تصنيعه باستخدام مواد رخيصة بدلا من استخدام الحرير الذي كان يصعب الحصول عليه بسبب ارتفاع سعره وصعوبة الحفاظ عليه وصموده أمام عوامل الزمن، قام (تساي لون) باستخدام لحاء الشجر والحبال وشبكات الصيد القديمة والخرق البالية لتصنيع الورق، وبقيت الصنعة سرًّا في الصين وبعض الأقاليم المجاورة لها حتى القرن الثامن الميلادي، وبعد فتح سمرقند عرف المسلمون الصنعة وأنشأوا أول مصنع للورق في سمرقند، وتوالى إنشاء مصانع الورق في الأمصار الإسلامية العديدة؛ فظهرت مصانع الورق في بغداد، ثم دمشق، وفلسطين، وانتقلت إلى مصر، حتى وصلت إلى المغرب والأندلس (أسبانيا والبرتغال)، ومن الأندلس انتقلت إلى أوروبا في القرن الثالث عشر الميلادي، وتحديدا إلى إيطاليا؛ فأنشئ أول مصنع للورق في مدينة فابريانو FABRIANO الإيطالية في سنة ١٢٧٦م، وفي هذا المصنع طبعت أول علامة مائية في عام ١٢٨٢م.

أما العرب فكان لهم رأي مغاير تماما، فهم يؤكدون أن أول ظهور للعلامات المائية كان في وثائقهم؛ إذ ظهرت هذه الخطوط في الوثائق الإسلامية في أواخر القرن السابع للهجرة (٦٩٠هـ/ ١٢٩١م)، وازداد ظهورها في القرن الثامن الهجري فقلدها صناع الورق الأوروبيون

(١) المهارق: جمع مَهْرق، وهو نسيج من الحرير الأبيض يسقى الصمغ ويصقل ثم يكتب عليه، وقد يطلق على الورق المشمَّع. والرقوق جمع رَقّ، وهو جلد رقيق يكتب عليه.

وأضافوا علاماتهم.

ولم يعرف إن كان العرب أو الغرب على السواء قد أضافوا العلامات المائية متعمدين ذلك أم غير متعمدين؛ فبعض الباحثين يرى أن استحداث العلامات المائية كان وسيلة للتمييز بين صناع الورق الذين ازدادت أعدادهم حين ذلك، وإن كان عددهم لم يتجاوز العشرين مصنعا. فيما رأى آخرون أن ظهور هذه العلامات المائية كان من باب الصدفة والخطأ الذي حدث في أثناء عملية التصنيع، وأن قوة الملاحظة قادت أحد العاملين لتبينها، وأن استخدامها استمر منذ ذلك الحين.

صناعة العلامات المائية:

ومثلما ارتبط ظهور العلامات المائية بالورق ارتبطت صناعتها كذلك بما يسمى القالب الخشبي hand-mould، وهو الأداة الرئيسة التي استخدمت منذ أكثر من ٢٠٠٠ سنة في صناعة الورق، وهذا القالب هو مكان تجمع وتلبد الألياف ولب الورق مغمورة بالماء، وبمجرد أن يفرغ القالب من الماء تتشكل الصحيفة الورقية، فأي صانع ورق لايمكنه الاستغناء عن هذه الأداة التي استخدمت لأول مرة في الصين في صناعة الورق وبعض المنتجات الأخرى، ثم انتقلت إلى كوريا واليابان، وفي اليابان أُدخلت عليها كثير من التعديلات والإضافات؛ ونجح اليابانيون في إنتاج ورق بخواص مميزة. وبانتقال صنعة الورق إلى المسلمين كان من الطبيعي أن ينتقل القالب إليهم، ومنهم إلى أوروبا.

كان القالب بشكله الأولي مكونا من إطار خشبي معزز بأضلاع وسياج أو حاجز من الخشب إما أن يرخى أو يثبت على الإطار، يسمى Deckle، وعلى الأضلاع تفرد شبكة من البامبو، تعمل الأضلاع على تثبيتها ودعمها، وتثبت على الإطار الخشبي باستخدام خيوط من الحرير أو من شعر الخيل. وكان الورق الناتج رقيقا هشاً لايمكن الإمساك به دون قطع أجزاء منه، لذا طوِّر القالب فيما بعد، فاستخدمت شرائط البامبو التي كان يوضع بعضها بجانب بعض، ثم تخاط معا باستخدام خيوط من الحرير أو الكتان أو وبر الإبل أو شعر الخيل، فتتشكل حصيرة كانت تبسط أو تثبت على الإطار باستخدام الأضلاع، ولم يتواصل استخدام القالب Deckle، فقد استبدل به أداة كانت تثبت داخل الوعاء المملوء بخليط الألياف ولب الورق.

وبانتقال القالب إلى أوروبا أدخلت عليه بعض التعديلات؛ فاستخدمت لأول مرة في صنعه أخشاب السنديان والصنوبر في جنوب أوربا، وفي فرنسا استخدم خشب الدردار والجوز، وفي أوائل القرن التاسع عشر استخدم الإنجليز خشب الماهوجني.

وأصبح القالب الأوروبي مكونا من إطار

شكل (١) من وثائق اسرة النصف

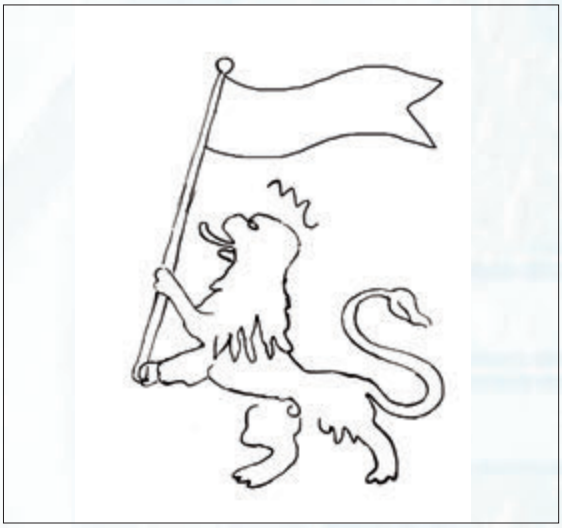

رسم يوضح شكل العلامة المائية

خشبي مستطيل الشكل معزز ومدعم بأضلاع متقاطعة ومتداخلة الشكل، والمسافة الفاصلة بينها ٢٠ مم، بالإضافة إلى إطار خشبي قابل للفصل، وأصبح القالب (deckle) يصنع منفصلا تحت إشراف الصناع المهرة ذوي الخبرة، لكونه الجزء المسؤول عن الاحتفاظ بالكمية المناسبة من الألياف واللب، كما أنه يتحكم في حجم لوح

شكل (٢) من وثائق أسرة الحمد

الورق. ثم ثبتت على الأضلاع شبكة معدنية تمتد من بداية الإطار حتى نهايته، ويكونان معا ستاراً أو حاجزاً سلكياً. واهتمت بعض المصانع بتمييز ورقها؛ فثبتت على الشبكة شكلا معدنيا أحدث فيما بعد علامة سميت العلامة المائية أو العلامة المائية السلكية.

وفي عام ١٨٤٨م اكتشف الإنجليزي (وليام هنري سميث) قالبا آخرا يمكن من خلاله صنع علامة مائية خفيفة الظل ولكن بتفاصيل أكثر،

استخدمت هذه العلامة المائية في طباعة بعض الوثائق والنقود الورقية للحد من عمليات التزوير والتقليد. وتعرف هذه العلامة باسم العلامة المائية المظللة.

أهميتها:

في البداية لم تكن العلامات المائية سوى أشكال بسيطة بدائية تفتقر للإتقان، كانت رسوما وأشكالا لبعض الكائنات الحية ورموزا لأشكال أخرى. وفي عام ١٣٠٥م بدأ المصنعون بطباعة أسمائهم أو الأحرف الأولى منها على الورق. وفي العصور الوسطى أدرك العاملون في هذا المجال أن ما يقومون به عمل فني ذو قيمة عالية؛ فظهرت عدة تصاميم ورسوم وأشكال فسرها بعضهم بأنها رموز سرية لبعض الجماعات أو المعتقدات الدينية؛ فكان لكل شكل أو رمز دلالة ومعنى خاص، فمثلا كان شكل النسر يرمز للملك والنصر والسلطة والقوة، وكان الشكل الكروي أو الدائري يرمز للماء والكون، ورمزت اليد اليمنى للإخلاص والعمل.

وباتساع دائرة المستخدمين لهذه العلامات المائية وظهور عدد كبير منها بدأ ظهور قوانين حقوق الملكية التي كانت تنظم وتحفظ حقوق المصنعين والعاملين في هذا المجال لمنع التقليد والتزييف. فهذه العلامات كانت هي العلامة التجارية والاسم التجاري أو الشعار الخاص بمصنّعي الـورق؛ فمن خلالها يمكن تعرف النوعيات ذات الجودة العالية أو الجيدة من الورق. وحملت بعض العلامات أسماء لأقاليم أو مدن كان يصنع فيها الورق أواسم المصنع أو تاريخ صنع الورق. لذا لجأ بعضهم للاعتماد على العلامات المائية لتأريخ بعض الكتب والمخطوطات القديمة التي لم يسجل أو يدون عليها أي تاريخ يوضح سنة الطباعة والنسخ.

وبنهاية القرن الثامن عشر ظهر علم يسمى Flilgranology اختص بدراسة العلامات المائية أينما وجدت، سواء في الوثائق والمخطوطات أو النوتات الموسيقية واللوحات الفنية والطوابع البريدية؛ فانتشرت الأبحاث والدراسات وألفت المجلدات والفهارس في هذا المجال، ويعد من أكثرها شهرة كتاب Les Filigranes، الذي ألفه السويسري Charles M. Birquet في عام ١٩٠٧م، ولايزال مرجعا يحظى باهتمام وتقدير العاملين والباحثين في هذا المجال.

وبازدياد الاهتمام والشغف بدراسة العلامات المائية وتحليلها استخدمت قواعد بيانات إلكترونية لتخزين الأشكال والعلامات بدرجة عالية من الدقة والوضوح واكتمال التفاصيل، لايغطيها نص مكتوب ولاتحجب تفاصيلها الدقيقة أية مادة. ومن ثم بدأ الاهتمام بابتكار الطرق والتقنيات التي تساعد على ذلك؛ فعمل أمناء المكتبات والباحثون والمرممون باستخدام طريقة

شف العلامة المائية (نقلها وتصويرها على ورق شفاف) حتى النصف الأول من القرن العشرين. وبعدها تنوعت الطرق والمـواد المستخدمة؛ فاستخدم التصوير الفوتوغرافي، والتمسيد أو الفرك، واستخدم التصوير الإشعاعي باستخدام دقائق بيتا Peta-Radiography Plate، وكانت الصور الناتجة من هذة التقنية عالية الوضوح، لكن بسبب امتداد زمن التصوير لساعات طويلة وقصر عمر الألـواح وارتفاع تكلفة الصيانة والتطوير تم استبدال طرق أخـرى بها؛ من مثل استخدام الأشعة تحت الحمراء والأشعة البنفسجية والصبغات الفوسفورية أو الفلورية Phosphorescence؛ حيث يتم تثبيت الوثيقة على لوح، ومن ثم تعرض للأشعة تحت الحمراء التي تنفذ من خلال الورق، فتظهر العلامات والخطوط بلون داكـن، ثم تنفذ الأشعة تحت البنفسجية بسهولة خلال المناطق الأقل كثافة أو سمكا (أماكن تشكل العلامات المائية)،فيؤدي اجتماع الأطوال الموجية إلى حدوث توهج صبغة الفوسفور في مكان العلامة المائية فقط.فتظهر صورة متوهجة للعلامة المائية على خلفية داكنة اللون. وتتميز هذه التقنية بالسرعة والأمان وانخفاض التكاليف.

وبينما كان فريق يعمل على دراسة العلامات وخواصها ويعتمد عليها في تأريخ مواد التراث الثقافي ظهر فريق آخر يشكك في صحة ومصداقية الاعتماد على العلامات والأشكال لتحديد الفترة الزمنية للكتابة أو الطباعة، مدللين على آرائهم بالأسباب الآتية :

- بعض المصنعين قد يستخدمون الشكل المعدني لفترات طويلة من الزمن.
- قد تنتقل العلامة المائية نفسها إلى بلد آخر تحت عدة ظروف؛ من مثل إفلاس المصنع أو موت صاحبه، ومن ثم يتم بيع العدة لمصنع آخر في بلد آخر.
- عدم معرفة الوقت المستغرق بين إنتاج الورق وبيعه، وذلك يخضع للعديد من الظروف الاقتصادية والسياسية والطبيعية؛ فحدوث الحـروب وانتشار الأمـراض والأوبئة والمجاعات أو الزلازل والفيضانات وغيرها من الأسباب أو الظروف تتحكم في تصريف البضاعة.

العلامة المائية بريطانيا (BRITANNIA) والوثائق الكويتية:

يضم أرشيف مركز البحوث والدراسات الكويتية عـدداً كبيرا من الوثائق المحلية التي تخضع للدراسة والتحليل من قبل المختصين، كل في مجاله، ولعل اللافت في الأمر أن أبناء الكويت المكافحين والعاملين بجد وكد من أجل توفير لقمة العيش لم يغفلوا عن تدوين وكتابة أمورهم العملية والحياتية؛ فالباحث في هذا الأرشيف سيجد أنواعا عديدة من الرسائل الشخصية والرسائل التجارية

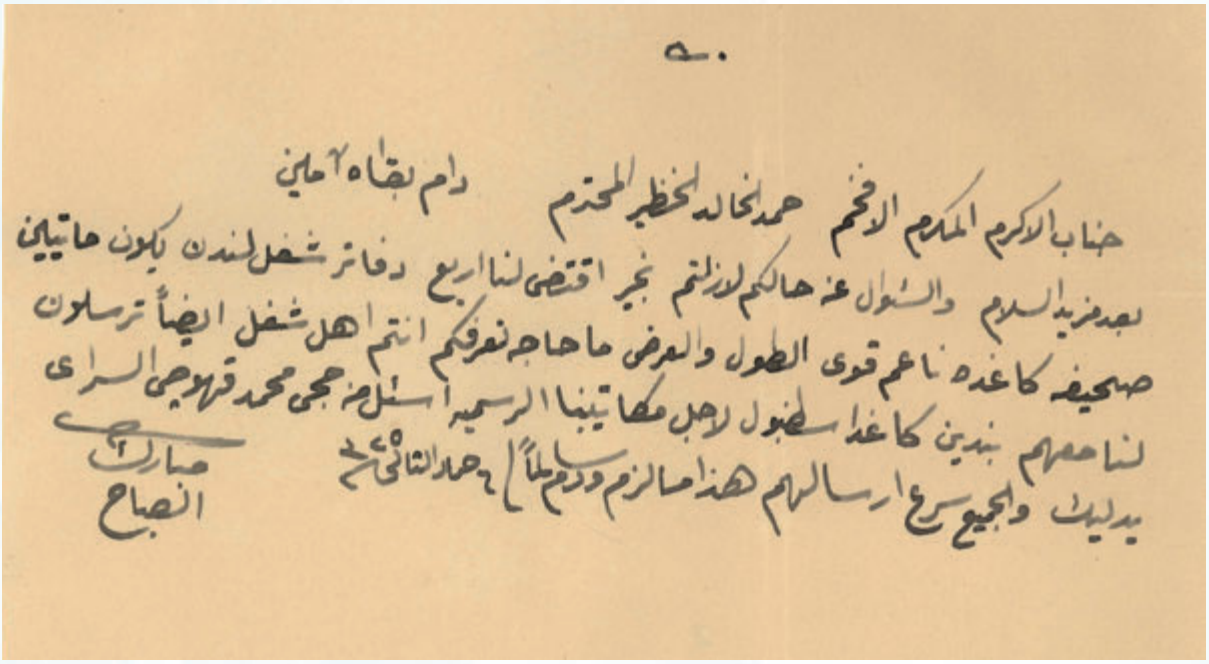

رسالة من الشيخ مبارك الصباح إلى السيد حمد الخالد الخضير مؤرخة في ٦ من جمادى الآخرة ١٣٢٥هـ (١٧ من يوليو ١٩٠٧م) يطلب فيها نوعين من الورق، نوع ناعم وقوي في صورة دفاتر عدد صفحاتها ٢٠٠ صفحة. والنوع الآخر سميك لاستخدامه في الرسائل.

والصورة السفلى هي للرسالة الأولى نفسها ولكن بعد أن تم تعريضها للضوء، فظهرت العلامة المائية بوضوح.

والسندات المالية والحوالات والبرقيات وسندات البيع والشراء والعقود، وحتى قوائم الشراء اليومية والشهرية، ومن اللافت للانتباه والمستغرب وجود الورق أو القراطيس ضمن السلع أو الاحتياجات الأساسية لبعض الأسر الكويتية؛ ففي هذا البلد الصغير كان أبناؤه يؤمنون بأهمية التدوين والكتابة؛ فعمدوا إلى تدوين كافة أمورهم في القراطيس والسجلات والدفاتر التي تناقلتها الأجيال جيلا بعد آخر. ولعل هذا الاهتمام بالكتابة كان من منطلق ديني بحت، كونهم كانوا ومازالوا يتخذون من الدين والعقيدة منهجا وسلوكا لكل مايخص أمورهم الدينية والدنيوية.

ومن ضمن أرشيف أسرة الخالد -مثلا- نجد عددا من قوائم المشتريات المتضمنة للورق أو القراطيس كسلعة أو مادة يحرص على توفيرها، منها رسالة من الشيخ مبارك الصباح إلى السيد حمد الخالد الخضير مؤرخة في ١٧ من يوليو ١٩٠٧م يطلب فيها نوعين من الورق، أولهما دفاتر صناعة لندن يكون عدد صفحاتها ٢٠٠ صفحة من النوع الناعم القوي، وثانيهما كاغد (ورق) إسطنبولي للمراسلات الرسمية.

وعلى الرغم من تنوع الورق المستخدم في الكويت قديما، بين الورق الهندي والتركي والإيطالي والنرويجي والإنجليزي، فإن التدقيق في العلامات المائية لكل نوع يظهر أو يعكس اهتمام بعض أفراد المجتمع بأنواع محددة ومعينة من الورق على الخصوص. وعلى الرغم من تنوع وكثرة العلامات المائية ضمن الورق المتنوع والمختلف في صنعته ولونه ومصدره فإن ورق بريطانيا كان الأبرز والأكثر استخداما في الوثائق المحلية. فوجدت العلامة بشكل لافت وبارز في الورق المستخدم من قبل الشيخ مبارك الصباح (الحاكم السابع لدولة الكويت) والشيخ أحمد الجابر الصباح (الحاكم العاشر لدولة الكويت) وتكرر ظهورها في وثائق الصقر والخالد بشكل لافت.

إذن فبريطانيا أو BRITANNIA هو اسم العلامة المائية الورقية الأكثر شهرة واستخداما، وهي عبارة عن رسم لفتاة جالسة تعتمر قبعة مزينة بالزهور، وتحمل في يدها رمحاً، ومحاطة بتاج بيضاوي الشكل، ولم يعرف بالتحديد تاريخ تصميمها أو استخدامها لأول مرة. وقد

شكل العلامة المائية Britannia في عام ١٧٥١م

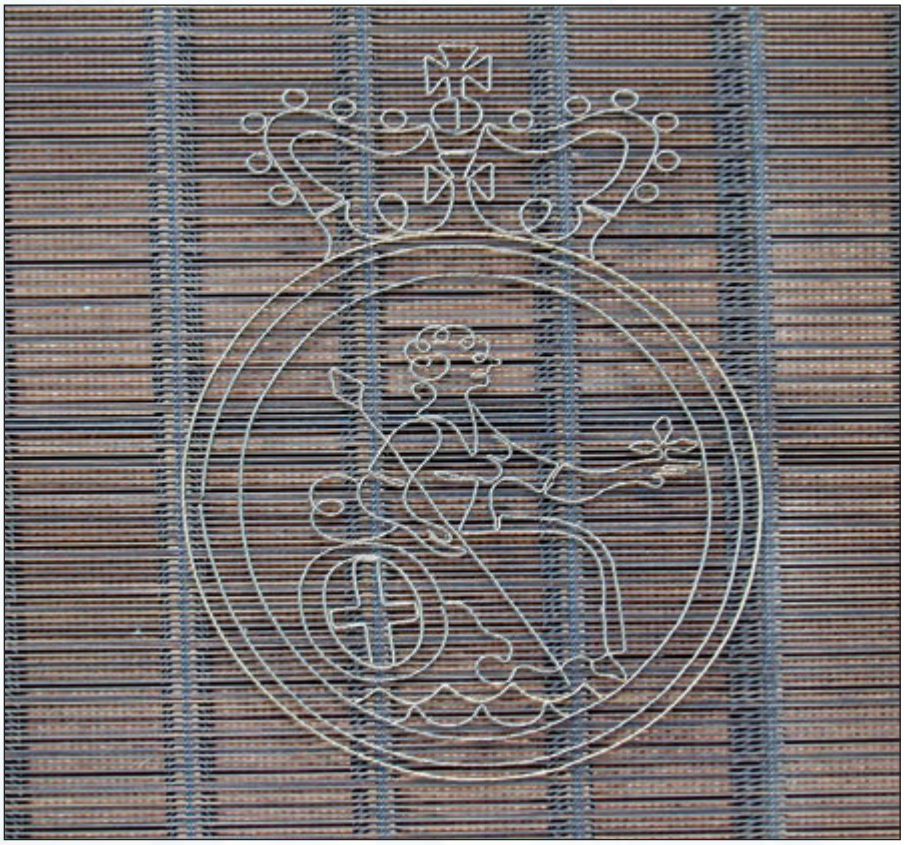

الشكل السلكي للعلامة المائية **Britannia** مثبت على القالب المخصص لصنع الورق

من وثائق الخالد، ١٩٠٧م

من وثائق الحمد، ١٩١٦م

عرفت هذه العلامة في بادئ الأمر باسم pro patria، أو maid of Holland، واستخدمها صناع الورق في هولندا حتى اكتسبت شهرة واسعة في بدايات القرن السابع عشر. وعرفت أيضا باسم Britannia، وخاصة أنها كانت معدة أو مصممة للأسواق البريطانية. وطبعت BRITANNIA في بريطانيا أيضا لعدة سنوات، وفي عام ١٨١٨م طبعت في إيطاليا كذلك مما جعلها علامة عالمية.

ولم نلحظ أية فروقات أو تغييرات في التصميم، فقد احتفظت العلامة بقالبها وشكلها الأصلي ماعدا بعض التغيرات في الاستدارة والحجم أو الخطوط أو بعض الإضافات الطفيفة التي قد يضيفها الصناع؛ من مثل اسم المصنع أو مكان الصناعة أو سنة الصناعة، وساعدت بعض الخطوط أو النقوش في قراءة العلامة المائية فتميزت العلامة المطبوعة في بريطانيا بأنها تُقرأ من الجهة اليسرى بعكس العلامة المطبوعة في إيطاليا.

وظهرت العلامة BRITANNIA أيضا في ولايات أمريكية لعدة أسباب؛ منها : استعانة بعض المصنعين في الولايات المتحدة بالمحترفين البريطانيين في مجال صنع الورق لتزويدهم بما يحتاجون إليه، أو لتأسيس مصنع للورق، أوبسبب وفاة المالك الأصلي، أو الإفلاس، أو بسبب رغبة بعض المصنعين في الحصول على هذه العلامة المميزة.

ولم يقتصر استخدام هذه العلامة على الورق بل استخدمت في دفاتر الكتابة والطوابع البريدية وأوراق البنكنوت والعملات المعدنية واللوحات الفنية. وثلث الورق الحامل لهذه العلامة يتميز بلونه الأصفر الفاتح، ويصنع وفق حجم قياسي متعارف عليه تجاريا يتراوح ما بين ٣١٥ - ٣٢٦مم X ٣٩٥ - ٤١٠مم لكننا قلما نجد ضمن أرشيفنا أوراقا بمثل هذا الحجم. ومن الملاحظ أنهم كانوا يقومون بتقطيع الورقة الواحدة عدة أجزاء، ثم يتم استخدام الورق بحسب حاجتهم إليه؛ فالنوعيات الفاخرة والجيدة من الورق لم تكن متوافرة في الأسواق المحلية، والحصول عليها وتوفيرها كان يتطلب المال والسفر لمسافات بعيدة.

مصادر البحث

أولا- المصادر العربية:

- علم الاكتناه العربي الإسلامي، قاسم السامرائي.
- تاريخ الكتاب، ترجمة د. محمد الأرناؤوط

ثانيا- المصادر الأجنبية :

1. MAKING PAPER. BO RUDIN
2. PUZZLE IN PAPER. DANIEL MOSSER. MICHAEL SAFFLE. ERNEST SULLIVAN
3. AMERICAN WATERMARKS 1690-1835. THOMAS L. GRAVELL AND OTHERS
4. WATERMARKS IN PAPERS. W.A. CHURCHILL